

(١) عثور على عثار

عثرْتُ في معاجم اللغة على خطأٍ قديمٍ عثرتُ به أقلام النساخ ولا أقول المؤلفين فأحيتُ التنبه اليه بالكلمة التالية: قلتُ لأديبٍ لغويٍّ مدققٍ من إخواننا: ما تقول إذا نقلتُ اليك عن معاجم اللغة ان خَلَجَانِ العَيْنِ واختلاجها قدُ فسرا بطيرانها . وانه اذا قيل خَلَجْتُ أو اختَلَجْتُ عينُ فلان كان المعنى أن عينه طارت . فتعجب الأديب من ذلك وسألني: أيُّ معجم يقول هذا؟ قلتُ كلُّ المعاجم الموثوق بها التي بين أيدينا: الصحاح ومختار الصحاح واللسان والقاموس . قال هذا خطأ يمكن الرجوع في تصحيحه إلى المخطوطات الأصلية لهذه المعاجم . قلتُ: رجعت إليها فوجدتها كالمطبوعات التي أخذت عنها: راجعت ثلاث نسخ من مخطوطات القاموس فوجدتها تفسر خَلَجْتُ العَيْنِ واختَلَجْتُ بطارت أي بفعلٍ ماضٍ من الطيران . ومثلها مخطوطات اللسان والصحاح ومختار الصحاح المحفوظة في دار الكتب الظاهرية . بل رجعت أيضاً إلى نسخة القاموس التي ترجمها إلى التركية عاصم أفندي فاذا هو كذلك يفسر خَلَجْتُ العَيْنِ واختَلَجْتُ بطارت . ومن المعاجم الحديثة أقرب الموارد والبستان فانها فسرا الاختلاج بذلك . ومن العجيب أنه ما من مؤلف من هؤلاء المؤلفين أو ناسخ أو مصحح أو مطالع علق على هذا التفسير ما يشير إلى ارتيابه بصحته . قال الأديب: ولا الزبيدي شارح القاموس قلت ولا الزبيدي . لكنه عقب على تفسير اختَلَجْتُ بطارت بقوله: إن هناك من فسرها باضطربت . وهذه عبارته: (ومن المجاز خَلَجْتُ العَيْنِ تَخَلَجَ خَلَجًا وَخَلُوجًا وَخَلَجَانًا إذا طارت ومثله في الصحاح كاختَلَجْتُ وَتَخَلَجْتُ . وفسره غيرهما (أي غير صاحب القاموس وصاحب الصحاح) باضطربت . وقال شمر (بن حمدويه اللغوي) التَخَلَجُ التَجَرُّكُ: يقال تَخَلَجَ الشيءُ وَاخْتَلَجَ اضْطَرَبَ وَتَجَرَّكَ . ووقع في كلام الأقدمين العمومُ في العَيْنِ وغيرها (يعني من أعضاء الجسد) ففي اللسان خَلَجَهُ بَيْنَهُ وَحَاجِبِهِ غَمَزَهُ . والعَيْنُ تَخَلَجُ

(١) قرئت هذه الكلمة في إحدى جلسات الجمع .

(أي تضطرب) انتهى كلام الزبيدي . ونقله لكل هذا بعد ان فسر صاحب القاموس الاختلاج بالطيران يشعر بشيء من ريبه بهذا التفسير . وكان عليه أو على شيخه ان يصرحاً بهذا الارتياح حسب عاداتهما . والآ فان تفسير اختلاج العين بطيرانها أمرٌ بدعٌ : إذ لو كان هذا التفسير حقاً لكان من المتوقع ان يذكروا في مادة (ط ي ر) أن طارت العين يكون بمعنى اختلجت . ولم نرم قالوا ذلك ولا نقلوه عن أحد . ولو قيل ان طيران العين مما يتجوز به عن اختلاجها لكانوا ذكروا ذلك او ذكره الزمخشري في أساسه . وهو لم يذكره . وكيف يذكره ولا علاقة بين طيران الطائر منتقلاً من مكان الى مكان وبين الاختلاج الذي هو اضطراب الشيء وهو باقٍ في مكانه وفي لهجاتنا العامية نسب الطيران الى العين لكن لا بمعنى الاختلاج الذي هو الاضطراب وارتجاف الأجزاء بحركة اضطرابية بل بمعنى أنها ايفت وذهب نورها بالجملة وهو ما يريدُه عامة زماننا مذ يقولون ضربه على عينه فطارت أي عورت . فهل يصحّ للصحاح ومن تابعه أن يفسروا الاختلاج بكلام عامة زمانهم على فرض أنهم كانوا يفعلون كماة زماننا في استعمال طيران العين ؟

عندها قال أدينا وما رأيك أنت في ذلك ؟

قلت رأيت أن كلمة (طارت) في مخطوطة الصحاح الأصلية أو غيرها من المصادر اللغوية القديمة هي محرفة عن (حارت) بالحاء المهملة وقد أخذت عنها المخطوطات الأخرى جيلاً فجيلاً ثم أخذت عنها المطبوعات . وذهب عن الشراح والمصححين الانتباه اليها أو التعليق عليها وتفسير خلجت العين واختلجت بفعل (حارت) هو الصواب والملائم للمعنى الأصلي الذي يفهم من المادتين مادة (خلج) و (حجر) كما أنه متنسق مع المعاني المجازية لكل من هاتين المادتين فإن معنى التردد والتحرك مع بقاء الشيء المتحرك في مكانه هو الذي يجمع بين مادتي (الخلج والحجر) وينفخ فيهما من روحه . خلج الشيء حرّكه . وأخلج حاجبيه حرّكهما . وتخلج الشيء فتحرك واضطرب وفلان يتخلج في مشته يتأبل . ويقال : لا يتخلجن في هذا الأمر شك أي تردد

ومثله تحتاج في صدري شيء اي تردّد . ومنه سمي خليج البحر خليجاً في قول بعضهم : لأن الماء لا يجرد فيه منفذاً يتسرب منه فيتردد ويضطرب في مكانه . هذا ما نستشهد به على مادة خلج أما مادة (حير) فكذلك اذ يقال :

حار الماء تردّد كأنه لا بدري كيف يجري . والحيران شبه حوضٍ يتغير فيه ماء المطر . وحار الرجل جهل وجه الصواب في الأمر فتردد في فعله أو تركه . والمستجير محابٌ ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه . وحار الطرفُ يحار تردد . ومثله حار بصره كما في الأساس . والنظر يحار أي يتحرك ويضطرب . قال كعب بن جعيل الشاعر الأموي :

تزين حتى تسلب المرء عقله وحنى يحار الطرف فيها ويسكرا

و (يسكر) من باب نصر بمعنى يحار ويضطرب أيضاً وفي المخصص عن صاحب العين (خرجت العين حارت ويرق البصر تحير فلم يطرف) فبناءً على هذا كله وجب ان يقال في تفسير اختلجت العين يقال تحركت وترددت في تحجرها مع بقائها فيه لا منتقلةً منه وهذا المعنى نفسه هو الذي يفهم من كلمة حارت حقيقةً وبجازاً . فما وقع في المعاجم من تفسير اختلجت بطارت ينبغي اذن تصحيحه بجارت .

ونجتم البحث بهذه اللطيفة . وهي مارواه ابن جني قال : حدّثني المتنبّي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً . قال : كنتُ عند منصرفي من مصر في جماعةٍ من الأعراب وأحدهم يتحدث فذكر في كلامه فلاةً واسعة فقال : (يحير فيها الطرف) فقال له آخر من رفاقه بلقنه سرّاً من الجماعة (يحار يحار) اهـ فأعراب البادية كانوا لعهد المتنبّي يفتنون الي ما يقع في كلامهم من الأغلاط . ويتذمّون منه . وينبه بعضهم بعضاً اليه .

المغربى

